حزر فزر

قصة قصيرة

د. أحمد خالد توفيق

منقولة عن موقع بص وطل

لأنني من عشاق كتابات د. أحمد خالد توفيق منذ الصغر، فقد فكرت في جمع قصصه ومقالاته المجزأة في كتيبات صغيرة، يحتوي كل كتيب على قصة مُكتملة أو موضوع مُستقل، حتى يسهل على محبيه الإستمتاع بكتاباته الرائعة.

مدونة اقرأ
تاريخية ، ثقافية ، سياسية

حزر فزر

قصة قصيرة

د. أحمد خالد توفيق

رسوم : طارق عزام

منقولة عن موقع بص وطل

أضواء تتوهج.. الكشافات تصوّب نحو المنصة العالية التي يجلس إليها المتسابقون.. موسيقى.. يشير مساعد المخرج الشاب العصبي للشباب الذين جاءوا ليلعبوا دور الجمهور كي يصفقوا، وينظر لهم نظرة نارية

يضيء شعار القناة نوفا مع بروفايل أنيق شامخ للمذيع غسان يوسف
يتحرك "الكرين" كوحش أسطوري يهبط من علٍ

تقترب الكاميرا الأولى من وجوه الضيوف، وعلى الشاشة العملاقة في ركن الاستوديو يظهر وجه مي العصبي المتوتر قليلا.. هذه مرتها الأولى على الشاشة كما هو واضح، عندما تكتشف الحقيقة المروّعة أن الكاميرا مسلطة على وجهها والجمهور يرى كل حبة وكل قطرة عرق على بشرتها.. يرون عينيها العسليتيين ويرون ارتباكها والكلمات المتعثرة على شفتيها.. هذا لا يجعل حالتها أفضل

على الشاشة العملاقة في ركن الاستوديو يظهر وجه مي العصبي

المذيع الشاب المتأنق الوسيم غسان يبدو كأنه دمية لامعة، يقف خلف منصته البعيدة ويطلب منها أن تعرّف نفسها.. فتقول:-
- م.. م.. يسين. م.. هسة.. كت.. محركات
قال ضاحكا مشجعا:-
- لو تكلمت بصوت أعلى لكان هذا لطفا منك

ابتلعت ريقها وقالت بصوت متهدج:-
- مي حسين. مهندسة في شركة محركات هي
رفع يده في حزم ليسكتها هنا وقال:-
- لا تذكري اسم الشركة من فضلك.. متى سمعت يا مي عن برنامج "لقاء أصدقاء نوفا"؟

- سمعت عنه من صديقة لي.. ثم عرفت أن بوسعي المشاركة.. وجوائز كذلك.. أنا مخطوبة وما زال استكمال الشقة مشكلة
نظر المذيع للكاميرا فانقضت عليه، وصاح بصوت مدوٍ:-

- مي حسين.. ضيف برنامج "غسان يوسف ولقاء أصدقاء نوفا".. ضيفنا الثاني هو

واقترب من رجل أصلع بدين نوعا.. هذا النمط المعروف الذي يصنعونه بالجملة: بدين.. مرح.. غزير العرق.. طيب القلب.. ثم ينقلب مزاجه ليصير اكتئابيا لدرجة الانتحار دونما سبب واضح.. الشخصية ثنائية القطبية كما يجب أن تكون

يضحك الضيف في بلاهة ويقول وهو يجفف عرقه:-
- إبراهيم رمزي.. مدير حسابات
- مرحبا بك.. أما ضيفنا الثالث فهو
قالها فقاطع الرجل الذي بدأ يحب الظهور وكان ينتظر المزيد من الأسئلة بالذات عن الطريقة التي سمع بها عن البرنامج. بدا له هذا غير عادل.. واحمرّ وجهه متبرّما

الضيف الثالث امرأة بدينة في الخمسين من عمرها، شرسة كالنمور، قوية الشخصية تضع طنا من المساحيق لدرجة أن رائحتها صارت خانقة.. يمكنك أن تفتتح عدة محلات لبيع مساحيق التجميل لو سلخت هذه السيدة. لا حاجة لتعريف نفسها.. هذا النمط المتعالي المقاتل بادي الشراسة لا بد أن يكون
- مدير عام في التربية والتعليم.. نجوى الشربيني

غريب أن تهتم هذه السيدة ببرامج المسابقات.. وغريب أن تشاهد التليفزيون أصلا.. لكن يبدو أن هذه هي الحقيقة، وكان من الواضح أنها تعتبر الحياة كلها مباراة مصارعة كي تربحها، لا بد أن تشعر الناس بعدم الراحة
- الآن مع هذا الفاصل الإعلاني ثم نعاود بث برنامج "غسان يوسف ولقاء أصدقاء نوفا"-

****

نحن ندعو المشاهد لرؤية برامجنا المتميزة على قناة نوفا.. قناة نوفا وباقة برامجها متاحة فقط لعدد قليل من المشاهدين المحظوظين. قناة نوفا تمتاز بأنها مشفّرة ولا يمكن سرقتها، كما أننا نراقب المستخدمين للتأكد من أنها لا تسرق عن طريق الكابل. اشترك في قناة نوفا اليوم.. اتصل بالرقم التالي ليصلك مندوب قناة نوفا إلى مقر سكنك ويقوم بتركيب القناة بنفسه. مع قناة نوفا لن تعود الحياة كما كانت

****

عادت الكاميرا للاستوديو وتعالت أصوات التصفيق من الشباب
راحت الكاميرا تستعرض وجوه الجالسين.. الجائزة الأولى هي نصف مليون جنيه.. لا توجد خدعة ما ولا ألعاب ضريبية مما يجيدها المحامون والمحاسبون

هذا يستدعي الكثير من القلق والتوتر.. يشي بذلك هذا العرق المحتشد على الجباه
هناك غرفة مغلقة بستار أحمر في مركز القاعة. يمكنك بسهولة أن تدرك أن رجلا واقفا هناك.. لا ترى سوى الظلال أو "السلويت" الخاص به

- كما هو المعتاد في برنامجنا.. يجب أن يخمن كل واحد من الضيوف مهنة الضيف وراء الستار عن طريق سؤال واحد.. سؤال واحد فقط في كل مرة يجيب عنه الضيف بنعم أم لا

ثم نظر نحو مي وقال:-
- دورك يا مي

حكّت مي شعرها في توتر كأنه عامر بالقمل.. ابتلعت ريقها. تذكرت المقولة الغربية القديمة حول ما هو الأكثر إرعابا: أن تخطب في الجمهور الجالس في حفل التأبين في الكنيسة، أم تكون أنت الجثة الراقدة في التابوت؟ يرى معظم الناس أن دور الخطيب أكثر إرعابا
قالت مي متمهلة:-
- هل عملك في النهار أم الليل؟

لم يكن سؤالا مما يجاب عنه بنعم أو لا. لكن الجميع أدرك ما تريد قوله. ساد صمت طويلا ثم قال الرجل خلف الستار:-
- في الليل فقط
كان عليها أن تصمت هنا وتترك الزمام للمتسابق الثاني.. كانت مغتاظة لأن الحل صار قريبا جدا

جاء دور إبراهيم رمزي.. جفف عرقه وضحك ضحكة عريضة من الخد للخد وقال:-
- هل أنت حارس ليلي؟
جاء الصوت في ثبات:-
- لا

جاء دور السيدة الشرسة، فسألت بصوت باتر حاد:-
- هل أنت شرطي؟
- لا

****

تقع استوديوهات قناة نوفا خارج القاهرة في موضع بعيد في الصحراء. لا علاقة لها بمدينة الانتاج الإعلامي ولا أي استوديوهات معروفة. الرحلة إلى هناك تستغرق ثلاث ساعات. وعليك أن تقاوم القيظ والظمأ طيلة الطريق، لذا كانت السيارة تتوقف من حين لآخر من أجل شرب أي شيء

وتذكرت مي أنها لم تر البرنامج على الهواء قط لأنه مشفّر.. ما رأته هو حلقات مسجلة على جهاز الكمبيوتر الخاص بها، لهذا لن تجلس أمها أمام الشاشة تتابعها في فخر. لن تراها إلا عندما تحصل على القرص المدمج الخاص بها

المهم الآن أن الأسئلة تبدو سهلة، وهذا يعقد الأمور؛ في المدرسة كانت تمقت الامتحانات السهلة لأن كل زميلاتها يُجبن عنها، وبالطبع يفعلن هذا أسرع وأكثر كفاءة منها.. النتيجة أنها تتراجع إلى موضع متأخر مع أنها الأفضل

من الواضح أن تلك المرأة الشرسة سوف تخمّن أسرع منها

****

قال غسان يوسف بعد الفاصل.. وكان يخاطب العدسة بحاسته التي لا تخطئ في العثور على مركز الاهتمام:-
- رجل يعمل في الليل وليس شرطيا ولا حارسا ليليّا.. ما هو سؤالك التالي يا مي؟
قالت مي قبل أن تفكر:-
- هل أنت مصاص دماء؟
- لا
قالها الرجل خلف الستار في ثبات وهدوء.. كأن هذا سؤال طبيعي معتاد

احمرّ وجهها بسبب غبائها.. لقد انزلق لسانها في سخف وهكذا أضاعت فرصة من فرصها. الحقيقة أن فكرة مصاص الدماء زارتها فجأة وانزلقت إلى لسانها قبل أن تجد الوقت الكافي للتفكير
يا لي من غبية! نحن لا نمزح هنا

قال غسان وتلك الابتسامة الخبيثة الساحرة على شفتيه:-
- ماذا دفعك لهذا الاعتقاد؟
- لا أدري
- مع الأسف أضعت فرصة ممتازة في سؤال لا معنى له.. والآن فلنر ما يسأله الأستاذ إبراهيم رمزي

اقتربت الكاميرا من وجه البدين الضاحك.. لقد كفّ عن الضحك وبدا جادا جدا
سأل الضيف الغامض:-
- هل أنت متزوج؟
قال الرجل بذات البرود:-
- لا.. مستحيل

لماذا ينفي ذلك بقوة؟ فكرت مي في ذلك.. هل هو مصاب بعيب يمنعه من الزواج؟ هل يكره النساء؟ هل هناك مهنة ترغم العامل بها على عدم الزواج؟
ما زال الأمر لغزا

.....

انتقلت الكاميرا إلى السيدة الشرسة نجوى الشربيني، وقد ارتسمت على وجهها مسحة امتعاض واضحة تقول بكل جلاء: "الوجود في هذا المكان لا يليق بي"-

ارتسمت على وجه نجوى مسحة امتعاض واضحة - (رسوم: فواز) -

ملأ وجهها المتنمر المغطى بالأصباغ الشاشة، وقد توقفت الموسيقى بانتظار سؤالها

قالت في تؤدة:-
- هل عملك له علاقة بالطب؟
ساد الصمت قليلا ثم قال الرجل خلف الستار ضاغطا على كلماته:-
- لا

واجه المذيع غسان الكاميرا والتمعت عيناه أكثر؛ هذا الرجل يجيد فن جعل العينين تلمعان كأن عنده زرا يضغط عليه عند الحاجة.. قال غسان بينما الموسيقى تتعالى:-
- لقد أتممنا دورتين لكن ما زالت إجابة اللغز مبهمة.. يجب أن أذكّر المتسابقين أننا نسمح فقط بخمس دورات، وبعدها نعلن فشلهم.. بعبارة أخرى: يفوز ضيفنا خلف الستار بلقب "أكثر الرجال غموضا"-

وضحك ضحكة مفتعلة فدوت ضحكات عصبية بين الصفوف.. إما أن مساعد المخرج أمرهم بأن يضحكوا، وإما هم وقعوا في الشرك المعروف: أن تضحك لأن من أمامك يضحك

اقتربت الكاميرا من وجه مي ليملأ الشاشات.. وقال لها غسان:-
- سؤالك يا مي
فكّرت مي للحظة.. ثم سألت الرجل:-
- هل لعملك علاقة بالموت والحياة؟
- نعم.. جدا

قالها في بساطة.. غريب هذا.. عمله له علاقة بالموت والحياة لكنه ليس طبيبا.. فمن هو؟ حانوتي؟ قاتل مأجور؟
كانت تفكر.. ناردين هي من أخبرتها بهذا البرنامج

==========

في شركة المحركات التي تعمل بها، كانت ناردين شخصية غامضة فعلا. هي جميلة لطيفة لكنها لا تبالي بالرجال وترفض كل محاولات طلب يدها.. وكان المهندسون في الشركة يقولون: فتاة مغرورة.. من تريد؟ هل تنتظر أن يأتي "راسل كراو" أو "براد بيت" ليطلب يدها؟

لكنهم بعد قليل يتصعبون ويقولون:-
- لكنها.. لكنها رائعة.. وليس كل من أمسك باللجام خيالا.. إنها تنتظر رجلها المتميز مثلها والمشكلة هي أن كل رجل يعتبر نفسه هذا الخيّال، ثم يتلقى صفعة على خد كبريائه

في هذه الظروف أحب صبري مي وطلب يدها
وفي حفل الخطبة جاءت ناردين متألقة كالعادة، ويبدو أن نصف رجال الحفل قرروا أن يجرّبوا حظهم معها. ما أدهش مي هو أن ناردين لم تكن تستمتع بالرفض ولعب دور الملكة التي تختار كما تفعل الفتيات، لكنها كانت فعلا لا تعبأ بالرجال ولا ترى لهم قيمة ما.. خطر لمي أن الموضوع يتعلق بعقدة من الصغر
قال خطيبها وهو يكتم نظراته المعجبة:-
- ربما يتعلق الأمر بخلل هرموني.. ربما هي رجل يبدو كأنثى

قالت في غيظ:-
- إذن ليت هذا المرض يصيبني
بعد شهر من الخطبة بدأ الخطيبان يدركان أن الحياة ليست وردية بهذا الشكل؛ ليست كلها هدايا ودباديب وأعياد فالنتاين ونزهات؛ هناك كابوس اسمه الشقة وكابوس اسمه الأثاث ولعنة اسمها الأجهزة الكهربية. ترى هل ينجحان؟ بدا لهما الأمر مستحيلا كما تحاول أنت قيادة مكوك فضائي إلى المريخ

بدأت المشادات العصبية من طراز: لماذا تكلمني بهذه اللهجة؟ لأنك تصرخين في كأنني أصم.. أنا لم أصرخ.. وأنا لست أصم.. إلخ
في تلك اللحظات جلست في المصنع على الدرج المعدني تشرب النسكافيه من كوب ورقي، شاردة الذهن. جاءتها ناردين وجلست جوارها.. ثم قالت لها:-
- هل سمعت عن برنامج "غسان يوسف ولقاء أصدقاء نوفا"؟

لم تفهم مي هذا العنوان الغريب.. إنها مدمنة تليفزيون وتشاهد كل التمثيليات من السابعة مساء حتى الواحدة صباحا، لكن هذا العنوان بدا لها عجيبا

قالت ناردين:-
- أنتِ لم تسمعي بالطبع.. هذا برنامج خاص يذاع على الكابل.. اشتراكه باهظ الثمن، لكنه يقدم لك فرصة ممتازة كي تربحي نصف مليون

هذا المبلغ بالتأكيد يحل كل مشكلاتها.. شقة بالإيجار وأثاث مع مبلغ معقول في المصرف.. هذا مغرٍ
- هل يمكنك أن تحكي لي كيف يبدو الأمر؟

وعدتها بأن تحضر لها بعض الحلقات لتراها على الكمبيوتر، وفي اليوم التالي جلبت لها قرصا مدمجا.. في البيت رأت مي تفاصيل البرنامج ورأت المذيع الوسيم غسان، وكيف يحاول الضيوف استنتاج مهنة

الضيف الغامض.. وفي كل مرة يفوز أحد المحظوظين بنصف مليون، إلا لو كان الأمر معقدا جدا فلا يفوز أحد

- هل ترغبين في تجربة حظك؟
- نعم
- إن خالي يعمل في إعداد البرنامج.. اعتبري أنك ضمن متسابقي الحلقة القادمة
- هل لي أن أحضر معي أمي وصبري؟

عضت ناردين شفتها في أسف وقالت:-
- آسفة.. الدعوة لشخص واحد فقط.. أنتِ غير مشتركة أصلا.. الحضور في هذا البرنامج يكون عددهم محدودا وكلهم من المشتركين.. بالمناسبة أنا نفسي لن أحضر لأن عندي موعدا مع طبيب الأسنان

هكذا وافقت مي
وفي اليوم المختار وقفت -بقدمين من جيلاتين لا تقدران على حملها- عند "أبو الفدا" في الزمالك تنتظر سيارة قناة "نوفا" التي ستنقلها إلى الاستوديو. أمها تعرف أين هي لكن لا تعرف أين يقع هذا الاستوديو، وعندما اتصلت بأمها تخبرها أن التصوير سيبدأ حالا، لم يكن لديها ما تقوله سوى أنها في مكان بالصحراء.. ثم جاءها من يطلب منها غلق المحمول لأننا سنكون على الهواء حالا

آخر ما قالته قبل أن تغلق الهاتف هو:-
- ادعي لي يا أمي.. أنا بحاجة لأن أنجح

==========

قال الرجل البدين الذي عرفنا أن اسمه إبراهيم رمزي، وهو يعقد أصابعه في عصبية:-
- هل أنت حانوتي؟
قال الرجل من وراء الستار:-
- لا

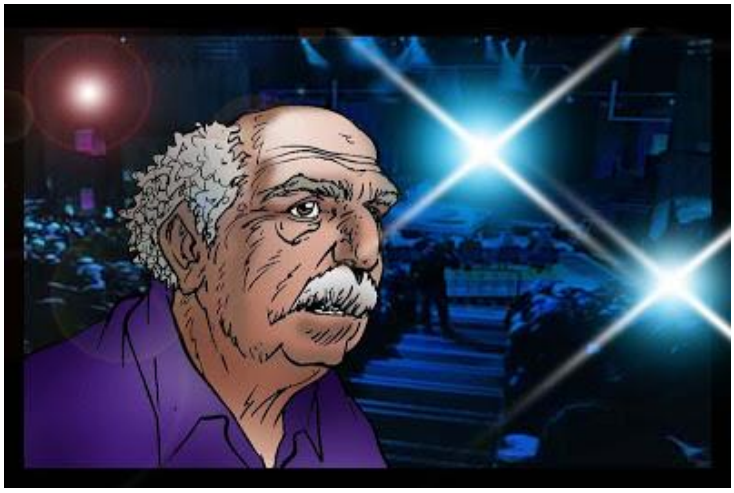

كان اسم الرجل البدين إبراهيم رمزي - (رسوم: فواز) -

هنا تدخّل المذيع غسان وقال في لهجة لائمة كأنه يزجر طفلا:-
- عدم المؤاخذة.. أريد أن نكون منطقيين بعض الشيء.. هو قال لك إنه يعمل ليلا.. هل تعرف حانوتيا يعمل في الليل فقط؟
قال إبراهيم:-
- وهل هو لا يكذب؟
- بالطبع؛ لو كذب فلا معنى لهذا البرنامج أصلا

ثم أعلن المذيع عن فاصل إعلاني آخر
فقط مع سجائر "كونراد" يمكنك تذوّق النكهة الحقيقية للتبغ الجيد.. مع سجائر "كونراد" أنت رجل يروق للفتيات ويغبطه الرجال.. مع سجائر "كونراد" يمكن للجميع أن يعرف أنك رجل كونراد.. "كونراد" هو اسم السيجارة

هل ترغب في قضاء ليلة ممتعة؟ نحن ننصحك بشرب نبيذ "مارشال".. نبيذ "مارشال" الذي تم تقطيره في ريف باريس والذي تذوقه أفضل الذواقة في العالم. تأمل لون الكأس وتأمل كيف يتشرب النبيذ النور.. نبيذ "مارشال" هو النبيذ الذي يفضّله عاشقو الخمور في العالم كله

ما معنى هذا؟
كانت مي تسمع الإعلانات عبر السماعة الداخلية وتشعر بالحيرة.. هل ما زالت هناك قنوات تليفزيون تعرض إعلانات التبغ؟! على قدر علمها هذا ممنوع في العالم كله منذ السبعينيات. وماذا عن إعلان النبيذ؟! في بلد عربي إسلامي يعلنون عن النبيذ؟! ولماذا لم تسمع قط إعلانا مماثلا في حياتها؟

ثم خطر لها أن هذه قناة خاصة جدا واشتراكها باهظ الثمن؛ لا بد أن أصحاب القناة أحرار يعرضون ما يريدون؛ إنهم يؤثرون في عقول طبقة خاصة جدا من المجتمع

كان الفاصل مستمرا
هنا أشارت للمذيع في شيء من الحرج:-
- الحمام.. لا أستطيع
- لكن هذا مستحيل
- دقيقة واحدة

قال بحزم:-
- سيكون هناك فاصل أطول بعد قليل، أما الآن فلا أضمن أن تعودي بسرعة كافية ويتم تثبيت الميكروفون لك قبل بدء التصوير

دارت بعينيها وسط الجمهور في يأس.. تشعر بالبول يحتشد في مثانتها ويفسد سلامها النفسي. كان أبوها يقول لها إنها كالأطفال، لا تذهب إلى مكان دون أن تطلب الحمام

هنا وقعت عينها على صفوف الجماهير.. استطاعت أن ترى ناردين.. ناردين جالسة في آخر صف وقد عقدت ذراعيها على صدرها وراحت تحدق في ثبات

من الطبيعي أن تكون هنا.. عمها معد البرنامج والضيف صديقتها، ولكن لماذا قالت ناردين إنها لن تتمكن من الحضور؟ لماذا كذبت؟

.....

الموجهة التعليمية قوية الشخصية إلى حد الشراسة، توجه سؤالها والشرر يطق من عينيها:-
- هل أنت لص؟
- لا

كان هذا سؤالا سخيفا لكنه منطقي جدا.. الرجل يدفعهم لحارة ضيقة لا يمكن التحرك فيها.. يعمل ليلا.. عمله له علاقة بالموت والحياة.. ليس طبيبا وليس حارسا ليليا وليس حانوتيا. ماذا يمكن أن تسأل عنه بعد ذلك؟
قال غسان في تهكم:-
- هل تتوقعين يا أستاذة نجوى أن يجيب بنعم لو كان لصا؟
في تحد وصلابة قالت:-
- اتفقنا على أنه لا يكذب.. قلت إن هذا يلغي معنى البرنامج أصلا

- هذا صحيح.. وعلى كل حال أضمن لك أنه ليس لصا إلا بشكل مجازي
مجازي؟ ما معنى لص مجازي؟ على كل حال قد جاء دور مي

البول.. البول.. صوت المياه المحبب وهي تنزاح عنك والكلية تتنفس الصعداء. كم سيكون هذا رائعا! تريد أن تفعل ذلك لتصفو أفكارها
سألت الرجل وهي تقاوم الألم:-
- ماذا تأكل؟

تدخل غسان محتجا وفي عينيه نظرة من طراز "لم أتصور هذا الغباء":-
- قلنا إننا نريد أسئلة من طراز نعم أم لا
- لكن هذا يضيع أسئلة كثيرة جدا.. لو كان يأكل فاصوليا فلسوف يستغرق هذا عشرة أسئلة
- هذه قواعد اللعبة.. خذيها أو ارفضيها

فكرت حينا في أن تنهض غاضبة، لكن هذه المواقف الدرامية لا مجال لها.. هذا ملعبهم على كل حال. هكذا استجمعت صبرها وعادت تسأل:-
- هل تأكل اللحوم؟
- نعم
قالها بسرعة وبلا تردد كعادته
شعرت بغيظ.. كانت بحاجة إلى سؤالين آخرين.. لكن عليها أن تنتظر وتصير تحت رحمة زميليها

****

كان إبراهيم رمزي يفكر.. يجب أن يجد السؤال التالي بسرعة. يجب أن يخمن شخصية هذا الرجل اللعين، فهو في حاجة ماسة إلى المال. كان متزوجا ولديه أربعة أبناء. برغم راتبه المرتفع لم يستطع أن يلاحق طلبات البيت المتصاعدة.. مدير الحسابات المحترم وجد نفسه في مأزق حقيقي. وهكذا بدأ يمارس الاختلاس. مثل أي واحد فينا كان يشعر أن الاختلاس يختلف جدا عن السرقة.. السرقة هي لص بفانلة مخططة يتسلق ماسورة مياه وفي فمه مطواة. الاختلاس أرقى نوعا. وكانت صورة عماد حمدي في فيلم "أم العروسة" تطارده

لقد اختلس الكثير من المال. وهو يعلم جيدا أن الجرد قادم، وذلك الاسم المرعب الكابوسي "الجهاز المركزي" قادم؛ سوف ينتهي به العمر خلف القضبان على الأرض جوار دلو للبول. طوق النجاة ألقي له عندما أخبره صديق له بهذا البرنامج الخاص الذي لا يراه أحد. شاهد بعض الحلقات وفهم كيف يتم الأمر كله

تم تحديد اليوم.. وعرف أن زوجته لن ترى البرنامج إلا فيما بعد عندما يعطونه تسجيل الحلقات

لا بأس
سوف يعرف الإجابة.. لا شك في هذا. لن يترك هاتين المرأتين تضيعان مستقبله؛ إن ما تفعلانه ببساطة هو أن تدخلاه السجن، ولماذا؟ لا بد أن المرأة المخيفة تريد أن تبدل ستائر الصالون.. الفتاة تريد استكمال الشقة.. لا أحد سواه يريد الفرار من السجن

ابتلع ريقه وجفف عرقه ثم ألقى السؤال وتمنى أن يكون الأخير:-
- هل تقيم مع أسرتك؟
- نعم

هنا تعالت الموسيقى وتحرك الكرين، وراحت الأضواء تتوهج.. وملأت الشاشة عينا غسان وهو يصيح:-
- لا تغادروا المكان ولا تغيروا القناة.. ما زلنا مع برنامج "غسان يوسف ولقاء أصدقاء نوفا".. إن عدد الأسئلة يتناقص مع الوقت.. الفرصة تقترب من نهايتها

فما أن دوى صوت الإعلانات وظهرت زجاجة الخمر على الشاشة، حتى نهضت مي.. هذه المرة لم تتظاهر بالوقار أو الهدوء. كانت تلوح بأناملها بحركة طفولية جدا يصنعها الأطفال عندما يوشكون على تبليل ثيابهم. وبدأت تفك مكبر الصوت والأسلاك دون إذن
ظهرت فتاة شابة من مكان ما، ومدت يدها تمسك بكفها.. فقال غسان وهو يتفحص الأوراق في يده:-
- خذيها للحمام يا سلمى.. أمامك 5 دقائق يا مي

مشت مي وسط قطع الديكور إلى أن دخلت ممرا مظلما يقود إلى الحمام، ووقفت سلمى خارج الباب.. من الواضح أن مهمتها أن تعود بها بسرعة وإلا كانت كارثة وفسد البرنامج كله

أولا أراحت مي نفسها.. شعرت بأن عقلها يصفو. غسلت يدها ثم تناولت جهاز المحمول وفتحته. كان مغلقا كما طلبوا منها.. طلبت رقم خطيبها صبري.. جاء صوته القلق عبر السماعة
- أين أنتِ؟

قالت وهي تستند إلى جهاز التجفيف بالهواء الساخن:-
- أنا في البرنامج.. هذه استراحة قصيرة
- أين أنتِ بالضبط؟ أعني أين أنتِ جغرافيّا؟
- لا أعلم. مكان ما في الصحراء.. ليست هذه مدينة الإنتاج الإعلامي على كل حال

قال بصوت غامض:-
- سألت كثيرين.. لي صديق إعلامي معروف.. لم يسمع أحد عن قناة نوفا هذه.. لم يسمع أحد عن برنامج اسمه "غسان يوسف ولقاء أصدقاء نوفا".. ثمة شيء خطأ هنا. أعتقد أنها عملية نصب.. أرجو أن تكوني حذرة
- تمنّ لي حظا حسنا فالوقت ضيق
- أتمنى لكِ أن تظلي سالمة

غادرت الحمام.. لم تكن الفتاة بالخارج. هذا غريب.. هي لا تعرف كيف تعود للاستوديو.. لقد ضلت طريقها وسط هذه الممرات المظلمة. تسارعت ضربات قلبها وهي تشق طريقها.. سوف يعتبرونها منسحبة

كان هناك باب جانبي موارب له محاور زنبركية.. دلفت للداخل وهي تنظر حولها. كلا. لم تأت هنا من قبل. ما هذه الرائحة الكريهة؟ مدت يدها تتلمس مفتاح النور
ليتها ما فعلت
ليتها لم تر ما رأته

شاطور.. مجموعة مدي.. نطع أو قرمة خشبية ملوثة بالدم.. كأن هذا محل جزارة نشط.. استوديو مزوّد بمحل جزارة.. هذا يبدو غريبا نوعا

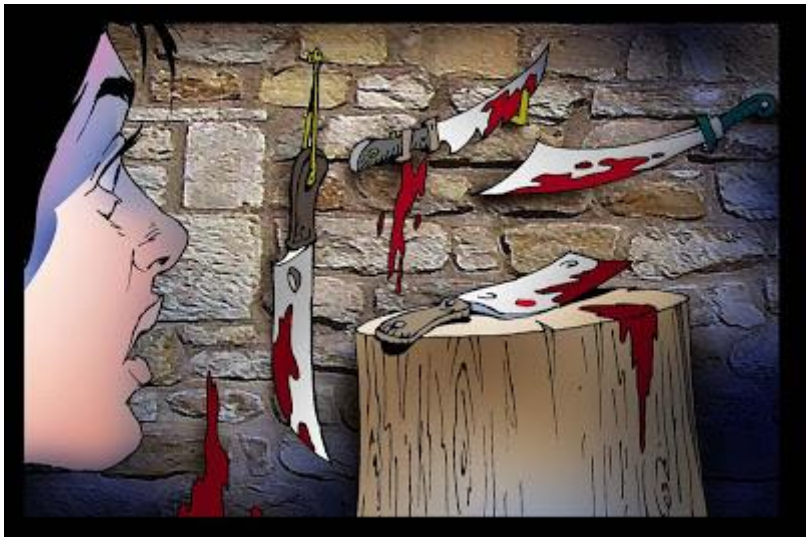

وجدت مي مجموعة مدي وقرمة خشبية ملوثة بالدم - (رسوم: فواز) -

غادرت المكان وهي مندهشة متقززة

مضت في الممر لتصطدم بالفتاة سلمى.. أجفلت وأجفلت الفتاة
- أين ذهبت؟
- نفس السؤال لك.. وقفت أدخن سيجارة في الممر.. التدخين ممنوع في الاستوديو طبعا

ثم مدت يدها تمسك بيد مي.. يد باردة صلبة.. وقالت برفق:-
- هيا بنا.. لقد تأخرنا.. لا تنسي غلق المحمول

كان عقل مي يعمل بلا توقف وهي متجهة للاستوديو.. وعندما جلست في مقعدها وهرعت الفتاة تثبّت لها مكبر الصوت، كانت قد توصلت إلى سؤالها القادم.. لم تسمع السؤال الذي وجهته نجوى.. تعرف أنه بلا جدوى ولن يقود إلى شيء

عندما جاء الدور عليها نظرت للرجل الواقف خلف الستار وبنبرة واثقة سألته:-
- هل أنت غول؟
ساد صمت طويل وشهق البعض ثم جاء صوت الرجل:-
- نعم

كانت قد خمنت هذا.. القرمة والمدي والدم.. الرجل الذي لا يعمل إلا ليلا ويأكل اللحم.. "غسان يوسف ولقاء أصدقاء نوفا".. هذا الاسم السخيف المفتعل.. لكن لو أخذنا الحروف الأولى من كل كلمة فماذا نجد؟ غ.. ي.. ل.. ا..ن

.....

لماذا فكرتِ في هذا يا مي؟ لماذا كنتِ أذكى من اللازم؟ هناك لحظات من الأفضل فيها للمرء أن يكون كفيفا أو أصم أو غبيا.. الفهم خطر ومخيف.. ألا ترين هذا؟ أسعد الناس حظا هم من ماتوا وهم لا يعرفون أنهم يموتون

كانت جالسة في ذات الوضع.. تفرك كفيها كأنها لم تسمع إجابة الرجل
كانت تبحث عن رد فعل مناسب
بدا كذلك أن الحضور جميعا قد أصابهم الخرس.. الحل الذي توصلت له بهذه السرعة قد صدم الجميع

كانت الصورة الآن قد صارت واضحة.. برنامج مزيف.. حيلة وكلام عن جائزة قيمة.. ناردين قد سلمتها لهم لأنها تعرف ظروفها، ولا شك أن كل واحد من الثلاثة قد جاء مخدوعا بدوره.. الحلقات التي رأتها على الكمبيوتر في بيتها مزورة وبريئة لخداع السذج

غسان يوسف ولقاء أصدقاء نوفا ".. غ.. ي.. ل.. ا.. ن"
وهذا يعني أن غسان وكل إدارة البرنامج يعرفون من هو الرجل المتواري وراء الستار.. ناردين تعرف.. المخرج يعرف
وما معنى هذا؟ وما الغرض منه؟

جاءت الإجابة عندما صاح غسان في مرح وهو يواجه الكاميرا:-
- مي هي التي استطاعت أن تخمن وهكذا فازت بالجائزة. بالفعل إن من يتوارى وراء الستار هو غول

نهضت السيدة قوية الشخصية ونهض مدير الحسابات البدين، لم يستطيعا الفهم حتى هذه اللحظة.. حتى لفظة "غول" نفسها لم يستطيعا فهمها

الغول يعمل ليلا.. عمله له علاقة بالموتى.. يعيش مع أسرة من الغيلان.. يحب مذاق اللحم جدا.. كل هذا صحيح

الغول يعمل ليلا ويعيش مع أسرة من الغيلان - (رسوم: فواز) -

كان الفهم متأخرا جدا لأن الجمهور غادر المقاعد لينقضّ على المنصة التي يجلس عليها المتسابقون.. وتصاعدت زمجرة كزمجرة الدببة الغاضبة.. دوى الصراخ.. سوف أعفيك من التفاصيل فنحن في زمن دموي، فلن أفيدك إذا وصفت المشهد بدقة.. فقط نذكر أن الكاميرا كانت تسجل كل شيء

فقط كانت مي تصرخ بلا توقف وهي تتراجع غير مصدقة.. لم يمسها أحد كأنهم نسوها
كان غسان ضمن المهاجمين المنقضين على المتسابقين، وكانت ناردين ضمنهم.. وواجه غسان الكاميرا والدم يقطر من جانبي فمه وصاح:-
- الآن ندعوك يا مي.. أنتِ صرتِ واحدة منا.. ندعوك للانضمام إلى الحفل! نحن نعرف أن برنامج "غسان يوسف ولقاء أصدقاء نوفا" هو البرنامج المفضل لدى الغيلان، ولهذا لا يراه سوى قلة من المحظوظين لأن القناة مشفّرة.. في كل مرة ندعو ثلاثة متسابقين فإذا استطاع أحدهم التخمين في الوقت المناسب نجا وصار منا. إذا فشل ظفرنا بالجميع

ثم أشار إلى مي الواقفة في الركن فاتجهت الأضواء نحوها:-
- مي.. أنت منا
شاركينا يا مي.. تعالي هنا وتذوقي اللحم
لكن مي كانت تقف جوار كشاف عملاق.. بلا تفكير ركلته بقدمها فسقط أرضا وانفجر الزجاج.. يجب أن أفر.. يجب.. لكن أين وأنا في قبضتهم؟

ركضت وسط الديكورات.. هناك حبال على الأرض وأسلاك في كل مكان. تتعثر وتنهض.. وتبكي.. حبال غليظة.. تقع عينها على شاشة كبيرة فتدرك أن كل المشاهد يتم تصويرها.. الغيلان في بيوتها تراقب عذابها في سادية بالغة ومسرورة جدا.. هناك حبل غليظ أمامها.. تعرف من السينما حينما تدور الأحداث في كواليس مسرح أن فك هذا الحبل يؤدي إلى تهاوي جزء من

بالفعل.. جزء من الديكور قد سقط وسمعت صوت صرخات، بينما هي تركض عبر تلك الممرات المظلمة اللعينة. يبدو أن مصير القرمة والشاطور مدّخر للمتسابق الذي يفر لهذه الممرات.. أليس كذلك؟

اطلبي صبري يا بلهاء.. اطلبيه.. لا تعرف كيف سيجد مكانها ولا ما يستطيع عمله، لكنها قدّرت أن بوسعه أن يتصل بالشرطة قبل... قبل ماذا؟! مصيرها يتحدد خلال ثلاث دقائق.. الأمر لا يختلف عن المحكوم عليه بالإعدام وظهره للحائط ينتظر الرصاصة

شعرت بجسم يثب عليها.. سقطت أرضا شاعرة أنها تحت كلب مسعور يحاول الوصول لعنقها.. ناردين! لقد خرجت لها من مكان ما في الظلام وهي تحاول أن تبلغ عنقها.. لشد ما تغيرت! يمكن لمن لا يعرف معنى لفظة غول أن يرى ناردين الآن

- لا تقاومي يا حمقاء.. لن تستطيعي الفرار أبدا.. كل المطلوب منك هو أن تأكلي معنا
غرست مخالبها في وجه ناردين وصرخت:-
- أنت خدعتِني.. أنت قدتني هنا وكنت تعلمين
- لأنني فزت في البرنامج منذ عامين! نلت الجائزة.. وصرت كذلك منهم

القذرة قوية جدا.. لا جدال في ذلك. مدت يدها تتحسس الأرض وهي نائمة على ظهرها عاجزة عن الحركة. هنا لمست يدها ما بدا لها كأنها مطرقة ثقيلة تركها أحد عمال النجارة.. لم تتردد ورفعت المطرقة ثم هوت بها.. هوت بها على الرأس الذي يقترب من عنقها

أطلقت الفتاة صرخة حادة ثم تهاوت على الأرض
لم تستطع مي مقاومة العنف الذي استبد بها، فهوت على رأس ناردين بضربة ثانية. ثم نهضت وراحت تركض وسط الممرات المظلمة. تسمع صوت غسان يتردد من شاشة ما:-
- عودي يا مي.. أنت صرت واحدة منا

أطلقت سبة.. ثم واصلت الركض.. هناك باب
ضوء النهار.. حديقة صغيرة.. ثم الصحراء.. هل تجرؤ على أن تعتبر نفسها نجت؟

الأجمل أن هناك سيارة تتحرك من بعيد على الطريق الممهد وسط الرمال. هذه معجزة فعلا.. ركضت لتقف في طريقها بالضبط. توقف السائق بفرملة حادة فصاحت:-
- أي مكان بعيدا عن هنا

حسب تقاليد أفلام الرعب لا بد أن يكون هذا السائق منهم، لكنها وجدته عجوزا طيبا مذعورا فعلا.. فتحت الباب ووثبت جواره وهي تلهث كالغرقى ولم تترك له فرصة الاعتراض. إذ ابتعدت السيارة نظرت للخلف. رأت ناردين تركض خلف السيارة والدم ينزف من رأسها وقد لوث ثيابها فبدت كالكابوس
ما زالت حية؟! كيف؟

بعد ساعة من اللهاث والتوتر تركها السائق في مكان من الزمالك.. لا تعرف المكان بالضبط.. لكنها الزمالك على الأقل. وقفت بين المحلات المضاءة والناس ترمق منظرها المبعثر في دهشة.. طلبت صبري خطيبها.. تعال هنا وخذني يا أحمق

بعد ساعة جاء صبري بسيارة صديق له. لم يفهم ما حدث لها وبدا مذعورا مندهشا.. كان هناك مكتب قريب للصيانة هو أقرب لورشة صغيرة، يعمل فيه ليلا أحيانا. أخذها معه إلى هناك. وإذ جلب لها بعض المرطبات وساعدها على أن تهدأ قليلا، كانت قد شرحت له قصتها بالكامل.. لم يصدق حرفا لكنه وافقها حتى تهدأ

قالت له:-
- لم أفهم كيف عاشت ناردين هذه
قال وهو يصب لها المياه الغازية:-
- هذا سهل.. الغول لا يموت إلا بضربة واحدة.. حسب الأساطير الضربة الثانية تعيده للحياة من جديد!
لهذا على المرء أن يقتصد في عدوانيته
ثم نهض ليعد لها بعض الشاي

جلست ساهمة بعض الوقت تتأمل المعدات والآلات الدقيقة المبعثرة فوق المنضدة.. تبدو مجنونة تماما بشعرها المنكوش والنظرة المتوحشة في العينين.. منذ ساعتين كانت متسابقة رقيقة تحلم بالفوز.. الآن هي هاربة من الغيلان وكادت تقتل أحدهم

وجدت أمامها جهاز التحكم عن بُعد الخاص بالتليفزيون الصغير المعلق على "كابولي" للجدار. ضغطت على زر التشغيل.. هنا أضيئت الشاشة. لم تكن هذه قناة عادية.. رأت شعار "نوفا" في ركن الشاشة وظهر وجه غسان الكريه.. كان يقول:-
- عودي لنا يا مي.. إن جائزتك تنتظرك
ارتجفت

هذه القناة ليست متاحة للجميع. معنى وجودها هنا على التليفزيون الخاص بصبري في مكتبه هو أن مَن علّمه موضوع الغول الذي لا يموت إلا بضربة واحدة؟! هل هي مؤامرة كبرى؟! ربما كان صبري على علاقة بناردين منذ البداية وقد تلاعبا بها.. لقد كان صبري هنا في المكتب يراقب المسابقة ويضحك في وحشية
لا تعرف

وجدت على المنضدة ذلك المثقاب الضخم الذي يملكه صبري.. مدت يدها وتأكدت من أنه موصل بالكهرباء. سوف تثقب قلبه مرة واحدة ولن ينجو.. فقط عندما يعود للغرفة سوف تكون حاسمة وتنهي الأمر

مدت مي يدها نحو المثقاب الضخم لتثقب به قلبه - (رسوم: فواز) -

حانت منها نظرة إلى التليفزيون فرأت صورتها ملتقطة من أعلى، ممسكة بالمثقاب.. شرسة منكوشة الشعر مجنونة النظرات مبعثرة الثياب.. لم تعد تمت لمي الأولى على الإطلاق ولو رآها طفل لظل يصرخ حتى يموت. هناك كاميرا في هذه الغرفة.. لا شك في هذا.. دائرة تليفزيونية مغلقة تنقل صورتها المذعورة للغيلان المشتركة التي تجلس أمام الشاشات تلتهم اللحم وتشاهد هذه التسلية الحية.. لا شك أنها قد أوشكت أن تكون غولا.. لقد تم كل شيء بسرعة

لكنها سوف تثقب قلبه بمجرد أن يدخل الغرفة
ومن التليفزيون سمعت صوت غسان يردد:-
- أنت ستصيرين منا يا مي.. بل أنت منا بالفعل.. هل تسمعين؟ أنت منا